شعراء الموسم في الميزان

نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

— ٣ —

ثورة القدر

نظم الأستاذ أحمد محرم في هذه القصيدة قصص الأنبياء المقصوصة في القرآن ليشيع فيها فكرته : ثورة القدر ؛ ففي كل من تلك القصص ثار عليهم القدر . وليس فيما قصه (نظما) من جديد سوى أن يخبر عن أولئك الناس بأن الذي نزل بهم هو من ثورة القدر . ولقد حاول ، في أبيات ، أن يستخلص العبرة فكأن القدر وقف في سبيل توفيقه في ذلك ... وليته ترك العبرة لتؤخذ من الخبر كما قال في القصيدة :

ما حياة المرء إلا خبر فخذ الحكمة من معنى الخبر

على أن قوام ذلك من استخلاص العبرة أو أخذها من الخبر ، أن يمزج بأحاسيس الشاعر ، ويؤدى إلى أحاسيس الناس فيطربهم ، أو يجتذب ارتياحهم ، أو ما بين ذلك من درجات التأثير . فماذا في القصيدة من ذلك ؟ إليك المطلع تليه قصة آدم وابليس :

عاصف ما قيل أمسك فازدجر زلزل الأقطار واجتاح البشر
هاجه من قبل في مربضه طائف ما مسه حتى انفجر
أخذ الخصمين في هبوته وهوى غضبان يرمي بالشرر
من طريد أهلكته سجدة وشريد غاله شؤم الشجر
ثورة في الأرض من آثارها كل يوم ثورة تزجى العبر
شمخ الكبر بهذا فهوى وأراد الخلد هذا فاندثر
ثورة خاطئة لو لم تقم في ظلال العرش ما ثار القدر
تجمح النفس فلا تنفعها بينات الأمر من خير وشر
وجلال الحق في صورته مظهر العزة في هذي الصور
فاز بالرضوان من أكبره فتجافى عن هوان وصغر

فترى أن أكثر العناية في قوة الألفاظ وقوة القافية ، وهذا موائم لحال المعنى ؛ ولكن هذه الأبيات ، بل القصور المؤلفة من صخور الكلم وجلاميد القوافي لا تملأ جوانبها روح الشعر ، ولقد وصف الشعر في هذا البيت من القصيدة :

ومن الشعر قصور فخمة وقبور موحشات وحفر

بما ينطبق على شعره ، فهو يقدم الشعر ، من حيث الجودة والرداءة الى القصور الفخمة والقبور الموحشة ، فيعبر عن الشعر العالي بالقصور الفخمة وان كانت غير آهلة !

سرد الشاعر القصص مبيناً فيها مواطن ثورة القدر ، وفي جميعها لم يثر القدر الا على أقوام أبوا اجابة دعوة الرسل وسخروا منهم وأفسدوا في الأرض فكان ما نزل بهم عقاباً لهم على طغيانهم ؛ ثم أخذ يصف هذا القدر المعاقب بالظلم والبغي ، فيقول :

ينصب الظلم على مخلبه ما تمنى من قصور ومرر
وترى البغي على أنيابه ناعم الروحات ريان البكر

فكيف يتفق رميه القدر بالظلم والبغي مع ما قدمه قبل ذلك من الاشادة بعدله في صرع المتجبرين العاصين ؟ !

والشاعر يتحدث في آخر القصيدة عن الشعر وعن موسم الشعر بدون مناسبة للموضوع ، ولو كان ثمت مناسبة لكان استطراداً مقبولاً

ولقد أحسن في وصف من أغرقهم الطوفان بقوله :

غمر القوم فهم في جوفه فتنة غرق وكفر مستتر
أمم كالملح ذابت وقرى ذهبت كالحلم أو وهم خطر

فقد ألم في هذين البيتين بمعان سرية ودل عليها بأوجز لفظ

لامية نسيم

بي فوق ما بك منهم أيها الطلل لك البلى ولي التبريح والعلل
حتاك من عاصفات الريح سافية وواكف من شآبيب الحيا هطل

أود أن أعرف أين الطلل الذي يخاطبه الأستاذ أحمد نسيم هذه المخاطبة ، فما أظن من كان يحبها إلا ساكنة في «عمارة» أو «قيلا» أو في بيت عادي على الأقل . واذا ارتحلت عن مسكنها فلا بد أن يحل محلها من سمره ؛ وهو إذا بكى فلا بد من هدمه وبنائه من جديد ، فلا الريح السافية تمحوه ، ولا واكف المطر يهطل على رسومه . لقد كان الشعراء الأولون يقفون على أطلال حبائبهم ، فتملأ نفوسهم تشوقاً وحسرة على ما مضى ، فيقولون الشعر فيما يحسون ، أما نحن في هذا العصر فلا نقف — بعد زوال عهد الصبابة — إلا على ما تحتويه أدراج المكاتب من

الرسائل الغرامية والصور الفتوغرافية وما الى ذلك ، فمن يقف منا على طلل فانما يقف على طلل الزمن القديم لا على طلل الأحبة

على أنه مهما يكن من شيء فان الأستاذ نسيم يكاد يبلغ في هذا المعنى مبلغ المجيدين من قدامى الشعراء ، وخاصة في قوله : « لك البلى ولي التبريح والعلل »

والقصيدة ليست في موضوع خاص ، وإنما هي (لامية نسيم) أي أن موضوعها ما يقوله نسيم على قافية اللام . . . وهي مع هذا منسجمة المعاني ، متآلفة الأجزاء ، يزينها البيان ، وأبياتها عامرة بالمعاني ، منها قوله في وصف المشيب :

قل للمشيب إذا ما لاح مشتعلا
ما أنت إلا لظى في القلب مشتعل

إلى أن يقول :

كأنه أحرف بيض يسطرها في مفرق كاتب للعمر مختزل

وأناشدك الشعر أن تقف معي برهة عند هذا القصر الفخم ، لا البيت ، ولا الطلل الذي وقف عليه الشاعر ؛ لتجتلي ما يحتويه من الغرائب ، فهذا كاتب يتعبه الحساب : حساب سني العمر الطويلة ، فيعمد إلى اختزالها بطريقة غريبة ، وهي تسطير الحروف البيضاء في المفارق

ومن محاسن القصيدة قوله :

شرٌّ من الخطب مر رحت تحسبه
أهلاً لفوتك وهو العاجز الوكل
يختال في حلل خز ولو عقلت لنسلت نسجها من خزيها الحال
وكيف يفخر مغتر بحليته وصدره من قلادات النهى عطل
شأن الغني الذي يضحى بلا عمل
شأن النبي الذي يزري به الكسل

ولكن وصفه لنفسه ، بضمير الغائب ، في قوله :

كأنه شامخ لا الحزن يوهنه ولا يحرك من أركانه الجذل

لا يليق بالشاعر الذي من خصائصه أن يكون مرهف الحس فلابد أن يطرب ويحرك الجذل من أركانه

اجتماعيات

قصيدة الأستاذ السيد حسن القاياتي ، وهي قصيدة قديمة تردد مجالس الأدب بعض أبياتها كقوله :

كأن وساما يعتلي صدر جاهل جنى من الأزهار يحمله قبر !!

ويتنادرون بأنه أنشدها المرحوم حافظ بك ابرهيم فلما جاء عند قوله :

لو ان الساعي تكسب المجد لم يلح بأوج العلا الا أنا وأخي البدر

قال له حافظ : ايه يا أخانا . . يورى بأنه البدر

وهي — كسائر شعر القاياتي — نبيلة الأغراض ، مركزة المعاني ، وكثيراً ما أغار على معانيها لصوص الشعر كأنما صاحبها قد أنهبها . . تضيق ألفاظها بمعانيها ، فبعض المعاني يعوزه البسط في التأدية مثل قوله :

حبيب الى الانسان كل طريفة ولو بات في أثناء بردته البدر

فهو في حاجة الى أن يبين بأن اللازم مما ولو كان البدر ؛ على أن أكثر المعاني يؤديها اللفظ بايجاز بليغ كقوله :

شمائل غر أصبحت وهي سؤدد ويانعة الأثناء أولها زهر

والقاياتي عميق الفكرة ، دقيق الالتفات ، ولعل هذا هو الذي يجعله ضنينا بالبسط ، فهو يرى أنه أبان بتأديته المعاني بذلك الايجاز ، فالزيادة حشو ، فهو يملو في أسلوبه مترفعاً بالجزالة عن السهولة والتبذل ، انظر الى قوله :

أشف وصال الغانيات ملاحة تلهيك بالحسناء ليس لها مهر

فانك وأنا إذا أردنا أن نعلم ما يقول لابد أن نشحذ الذهن لينفذ الى عمقه ، وهناك نقف على معناه ، يقول : ملاحة الحسناء التي لا تزوجها فلا تدفع لها مهراً أشهى وصال الغانيات وأشده فتلاً للكلف المدلّه

والقاياتي شاعر مجدد .. من المجددين الحقيقيين لا الذين يرددون كلمة التجديد ، ويتحلون بعضها ، فهذه قصيدته قل أن تجد فيها معنى من المعاني العامة ، فأكثرها مشابه من خواص المعاني التي لم يسبق اليها كقوله :

كأن وساماً يعتلي صدر جاهل . جنىً من الأزهار يحمله قبر !

وقوله :

تطالعنا تحت البراقع أوجه حسان كما يغرى دُجُنَّته الفجر

وقد تناول في القصيدة بعض النواحي الاجتماعية بالنبي والنقد المر كقوله يصف المجالس والمجتمعات :

مجالس حفل بالقبيح كأنها مغاني بغايا ماؤها الفحش والهجر

الى أن يقول في ذلك :

تحياتهم سب الجدود فكاهة وكم نيل فيمن يشتهون فتى برر
سباب تهاداه الثغور بواسما كأن الذي أهداه بينهم عطر !

وقد صور نوازعه وأحاسيسه فى القصيدة تصويراً بارعاً صادقاً والأبيات الآتية تدل على نبل خلقه ، وتصور ميول نفسه ، قال :

إلى الله أشكو أننى لست واجدا سوى لذة من دون تحصيلها العمر
أشف وصال الغانيات ملاحة تلهيك بالحسناء ليس لها مهر
إذا أمكنت من ريقها الخمر صاح بى نذير الهدى : ما أنت ويحك والخمر
أمر بها فى الكأس حمراء عذبة فأحسبها جمراً وفى كبدى جمر

وفى البيت الأخير يقول إنه يمر بالكأس حمراء عذبة ، فاذا كان يشهدها حمراء فكيف علم عذوبتها ؟ !

قد يباح للشاعر أن يتردد ويتناقض فى قصائد من شعره لاختلاف الظروف التى تحيط بمشاعره ، فان للشاعر من ذلك ما ليس للعالم الباحث ؛ ولكن لا يجوز له أن يتردد أو يتناقض فى قصيدة واحدة ، فكيف يجمع شاعرنا بين قوله :

كفى ضيعة للحسن خدر يصونه أرى الطيب كل الطيب أن يهتك الخدر

وقوله :

كناسكم يا أيها الغيد أننى ضمنت لكم أن يذهب اللؤلؤ النثر
هو العار فليقن الحياء وإنه لكالنحر للعشاق أن يكشف النحر

وفى البيت التالى مغالطة :

يقولون ان الراح للفكر صيقل وربك ما فى الراح عقل ولا فكر

فان خلو الراح من العقل والفكر لا يمنع من أن تصقل الفكر ، وهناك كثير من الأشياء تصقل الفكر وليس لها عقل ولا فكر

الشباب

والأستاذ حسين شفيق المصرى لا يذكر الشباب إلا بالهوى والشراب كأن الشباب ليس فيه ما يذكر وما يتحسر عليه إلا الأوانس والحيا ، فهو يقول فى المطلع :

تذكر بعد أن شاب الشبابا فأنّ وقد دعاه فأجابا
وشاقته الأوانس والحيا فود من التشوق لو تصابى

وليس فى القصيدة ذكر للشباب بغير اللهو والمجون ، فهى لا تعنى الشباب الا بما فيه من التماجن ، أما ما يلابس الشباب من نواحى الجد فلا أثر له فيها

والقصيدة عليها مسحة من الجودة ، وفيها أبيات مطربة كقوله فى وصف الكأس والنديم :

أيا حزناً علىّ ولست أنسى ليالى كنت أحسوها شرابا
ينادمنى غضيض الطرف صاح ذكى يستبيك اذا تغابى
يميل بكأسه يسقيك منها صفاء بعد أن رشف الحبابا
فلا أدرى أكانت من رحيق كنفح الطيب أم كانت رضابا
سحرت وهل شرابك غير سحر وضوء الشمس بين يديك ذابا
حنانك أبق من عقلى قليلاً لأعلم حين تسألنى الجوابا

وهذا فى الحق ابداع وفى قوله : « ذكى يستبيك اذا تغابى » جمال يستبيك

وشعر الأستاذ حسين شفيق خفيف الظل ، تشيع فيه روح الفكاهة . ويظهر أن هذه الروح تلازمه حتى انك تجدها فى التحسر على سالف الشباب ، وكم هو ظريف فى قوله :

ومن يكتم حساب سنيه يوماً فصفحة وجهه تبدى الحسابا

كأن صفحة الوجه « عداد » للسنين ...

وهو فى هذا البيت :

ولولا أن يقال دهاه مس لخولط ما تأيت الخضابا

لا يأبى الخضاب إلا خشية اللوم ، أى أن الخضاب عنده ان لم يكن يوده فهو أمر لا غبار عليه ، ولكنه فى البيت التالى :

ومن ظن الشباب صبيغ شعر فان الصقر قد أمسى غرابا

يسخر من صبغ الشعر ، فيقول ان صبغ الشعر لا يجتاب الشباب ، وانما يشوه ، كما يمسخ الصقر غرابا اذا صبغ بالسواد ، والخضاب والصبغ من قبيل واحد ، فوفادته الخضاب فى البيت الأول لا تتفق مع السخرية من صبغ الشعر فى البيت الثانى

وقد تعارف الناس على أن شارة الحداد السواد ، ولكنه يقول :

تخذت بياض رأسي لى حدادا على عمر الشباب فوا شبابا

فكيف يتخذ البياض حدادا ؟ (١)

غريب فى باريس

ليس يكفى هذا العنوان ويعلم الناس أن الدكتور زكى

(١) السواد شارة الحداد عند المشارقة ، أما أهل الأندلس فيتخذون البياض حداداً (الرسالة)

مبارك قضى فترة من الزمن فى باريس يطلب العلم فى احدى جامعاتها ، لأن تصف هذه القصيدة غريباً فى باريس ، بل لا بد أن تنى القصيدة نفسها بهذا الغرض ، لا بد أن تصف غريباً وتصور نوازعه وحنينه الى وطنه ، ولا بد أن يكون هذا الوصف ملابساً لباريس مشتملاً على خصائصها . أما عن الشطر الأول فقد فعل وأحسن ، وان كان لم يُجد الاجادة التى تنبغى للدكتور زكى مبارك ؛ تألم من الغربة فقال :

يا جنة الخلد كيف يشقى ... فى ظلك النازح الغريب
الناس من لهوهم نشاوى ... ودمعه دافق صبيب
يقتات أشجانه وحيداً ... فلا صديق ولا قريب
أقصى أمانيه حين عسى ... أن يهجع الخفق والوجيب

وهذه الأبيات أحسن ما فى القصيدة

وحن الى وطنه فقال :

متانى النيل كيف أقصت ... ريبب أزهارك الخطوب
وكيف ألقينه بأرض ... أصبح أحلامها كذوب

وصور نوازعه الى المجد الذى قد اغترب من أجله فقال :

يسدد السهم ليس يدرى ... أيخطئ السهم أم يصيب
يطارد المجد فى زمان ... اقباله غادر لعوب
الشهم من ناسه شريد ... والحر من أهله غريب

وهـــذه الأبيات — وان كانت عادية — فيها روح من يطارد المجد

وأما باريس ، فلها الله باريس ! كل ما أثنى به عنها قوله فى المطلع : « يا جنة الخلد » وقوله بعد ما ذكر أنه ألقى بأرض اصبح احلامها كذوب:

أديم أجوائها سواد ... فلا شروق ولا غروب
وحب غاداتها موات ... فلا سكون ولا هبوب

أكل ما يقال عن باريس أن الضباب يملأ أجواءها وأن حب غاداتها موات ؟ وهل تعد هذه الأشياء من خصائص باريس التى تميزها من غيرها ؟ أو لا يصح أن يطلق على القصيدة بدلاً من « غريب فى باريس » : غريب فى أى بلد من بلاد الله التى يصح أن تشبه بجنة الخلد ، ويكثر فيها الضباب ويكون حب غاداتها مواتا . . ؟

ألا ان الغريب فى باريس يقول قصيدة لم يقلها بعد الدكتور زكى مبارك

تمثلة شعراء

هم الأساتذة : سيد ابراهيم ، عزيز بشاى ، كامل كيلانى . أنشد كل منهم قصيدة كنا نود لو أنشأ أو اختار من شعره غيرها تكون أدنى الى الغاية المرجوة من الموسم ، فالناس يبتغون من موسم يحتفل له شعراً يشعرهم بجزالته وعلو معانيه وسمو أخيلته أن للموسم خطراً . . . أما الأول والثانى فكان قولها نافهاً : معان عامة وأفكار عادية وأسلوب خال من القوالب والتعبيرات الشعرية مثل قول الأول يناجى ولده :

جذلان تفرح لو يز ... يد على نصيبك درهم

وقول الثانى يصف حال الأغنياء :

لا يملؤون بليم عقولهمُ ... ويملؤون بطونا بالجنيهات

وما الى هذا مما لا نطيل بذكره لعدم فائدته . وانه لخير للأستاذ سيد ابراهيم أن يقتصر على خطه الجميل ويدع الشعر للشعراء

أما الثالث وهو الأستاذ كامل كيلانى فقد ألقى قصيدته « الباز والقبرة » وهى تحكى أن « بازاً » اصطاد « قبرة » فجاءه « لقلق » يأخذ عليه استبداده بالقبرة الضعيفة ، فقال له الباز : وأنت أيضاً تصطاد الضفدع الضعيف فهلا تركته كما تريد منى أن أدع القبرة . ثم علق الأستاذ على الحكاية بعد أن ساقها نظما بقوله :

كم خطيب على المكا ... رم قد حث معشره
ان رأى ناكباً عن الخي ... ر لحاه وعيره
هفوات الورى يرا ... ها ذنوباً مكبره
ثم يلقى ذنوبه ... هفوات مصغره
مثل هذا منافق ... جعل النصح متجره
نصحه كله خدا ... ع وغش وثرثره

وموضع قصيدة مثل هذه كتاب من كتب الأطفال ، لا موسم الشعر ؛ وأسلوبها سليم ، ونظمها طبيعى لا تكلف فيه أما نقدها من حيث الموضوع فمن اختصاص أهل العلم بتربية الأطفال ، فلا نقول فيما لا نعلم

عباس محمود مصر